استئناف أمر النبي A بأن يقوله للمشركين . وافتتاحه ب (قل) لقصد توجه الأسماع إليه . ومناسبة وقوعه عقب ما تقدم أن الكلام المتقدم حكى تكذيبهم بالقرآن وادعاءهم أنه مفترى وأنه ليس بحق ثم إبطال أن يكون القرآن مفترى على ا لأنه اشتمل على تفصيل الشريعة وتصديق الكتب السالفة ولأنه أعجز مكذبيه عن معارضته . فلما استوفى ذلك بأوضح حجة وبانت لقاصد الاهتداء المحجة لا جرم دالت النوبة إلى إظهار خطل عقولهم واختلال تكذيبهم فإنه بعد أن كان تكذيبا بما لم يحيطوا بعلمه فقد ارتبكوا في دينهم بما يلزمهم منه مماثلة الحالة التي أنكروها فإنهم قد وضعوا دينا فجعلوا بعض أرزاقهم حلالا لهم وبعضها حراما عليهم فإن كان ذلك حقا بزعمهم فمن الذي أبلغهم تلك الشرائع عن ا ولماذا تقبلوها عمن شرعها لهم ولم يكذبوه وهم لا يستطيعون أن يلتزموا ذلك وإن كان ذلك من تلقاء أنفسهم فقد افتروا على ا فلزمهم ما ألصقوه بالنبي A فعلق بهم وبرأ ا منه رسوله فهذا الاستدلال من الطريق المسمى بالقلب في علم الجدل .

ثم إن اختيار الاستدلال عليهم بشيء من تشريعهم في خصوص أرزاقهم يزيد هذا الاستدلال مناسبة بآخر الكلام الذي قبله ليظهر ما فيه من حسن التخلص إليه وذلك أن أخر الكلام المتقدم جملة (هو خير مم يجمعون) أي من أموالهم . وتلك الأموال هي التي رزقهم ا إياها فجعلوا منها حلالا ومنها حراما وكفروا نعمة ا إذ حرموا على أنفسهم من طيبات ما أعطاهم ربهم وحسبهم بذلك شناعة بهم ملصقة وأبوابا من الخير في وجوههم مغلقة .

والاستفهام في (أرأيتم) (آا أذن لكم أم على ا تفترون) تقريري باعتبار إلزامهم بأحد الأمرين : إما أن يكون ا أذن لهم أو أن يكونوا مفترين على ا وقد شيب التقرير في ذلك بالإنكار على الوجهين .

والرؤية علمية (وما أنزل ا لكم من رزق) هو المفعول الأول ل (رأيتم) وجملة (فجعلتم منه) الخ معطوفة على صلة الموصول بفاء التفريع أي الذي أنزل ا لكم فجعلتم منه . والاستفهام في (آا أذن لكم أم على ا تفترون) مفعول ثان ل (رأيتم) ورابط الجملة بالمفعول محذوف تقديره : أذنكم بذلك دل عليه قوله (فجعلتم منه حراما وحلالا) .

و (قل) الثاني تأكيد ل (قل) الأول معترض بين جملة الاستفهام الأولى وجملة الاستفهام الثانية لزيادة إشراف الأسماع عليه . وهي معادلة بهمزة الاستفهام لأنها بين الجملتين المعمولتين لفعل (أرأيتم) . وفعل الرؤية معلق على العمل في المفعول الثاني لأن الأصح جواز التعليق عن المفعول الثاني . وزعم الرضي أن الرؤية بصرية . وقد بسطت القول في ذلك

عند قوله (أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه) الآية في سورة الواقعة .

و (أم) متصلة وهي معادلة لهمزة الاستفهام لأن الاستفهام عن أحد الأمرين .

والرزق : ما ينتفع به . وتقدم في قوله تعالى (ومما رزقناهم ينفقون) في سورة البقرة وفي قوله (أو مما رزقكم ا) في الأعراف .

وعبر عن إعطاء الرزق بالإنزال لأن معظم أموالهم كانت الثمار والأعناب والحبوب وكلها من آثار المطر الذي هو نازل من السحاب بتكوين ا فأسند إنزاله إلى ا بهذا الاعتبار ومعظم أموالهم الأنعام وحياتها من العشب والكلأ وهي من أثر المطر قال تعالى (فلينظر الإنسان إلى طعامه إنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا متاعا لكم ولأنعامكم) . وقال : (وفي السماء رزقكم) أي سبب رزقكم وهو المطر . وقد عرف العرب بأنهم بنو ماء السماء . وهو على المجاز في كلمة (بني) لأن الابن يطلق مجازا على الملازم للشيء . وقد عبر عن إعطاء الأنعام بالإنزال في قوله (وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج) بهذا الاعتبار .

والمجعول حراما هو ما حكى ا بعضه عنهم في قوله (وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها) وقوله (وقالوا ما في بطون هذه الإنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا) في سورة الأنعام .

A E